خمس قصائد جديدة

عز الدين المناصرة

1 ـ الحمام الذي غربا:

الحمامُ الذي غَرَّبا

شـــافني واقـــفـــاً في المحطّة تحت
صهيل المَطَرْ
غَضَّ طرْفاً، وما قال لي مرحبا
ثمَّ غنّى الرحيلَ الطويلَ وما أطربا.
الهدوءُ الذي يسبق العاصفة
حطَّ فوق الغمام على طاولات الزمانِ
تمدّد، ثم استراحْ
حاملاً نتفةً من قوادم هذا الجناحْ.
الهدوءُ المُتاحْ
قام غازلني صدفةً في بريد رسائله،
شرَحا
غُـربتي في بلادٍ تهبُّ عليـهـا رياحُ
الصنوبرِ
لا يســتــجـيبُ الصنوبرُ، في طُرُقٍ
عطرُها فَحْفَحا.

الحمامُ الذي شرَّقا

في بوادي النُعاسِ التي أنجبتْ
سَهْلَةُ الأزرقا
هل يرفرف سربُ النوارس في المنعرجْ
فوق ملح البياض الشفيف تعاشقُهُ
الشمسُ
عند ارتعاش سنابل هذا المحيط الذي
كان من ذَهَبٍ سَرْجُهُ المستطيلُ الذي
عَتِقا؟
قمتُ عاتبتُها أين تلك العلامة في خدّها
النَبَويِّ الذي أشرقا؟
أين غمّازة الثغر تحت نخيل القَمَرْ؟
أين عنقـودها المشـرئبُّ الذي ولَّعَ
الشَبَقا؟

الحمامُ الذي شرَّقا
ســال من شـدّة الوهْج نهـراً على
قاعها رَقْرَقا
شـافني أتوجس من ريبة فاشـترى
لي
مناديلَ من توتةِ الدارِ، قُرْبَ المُدرّجِ
أهديتُها للغريب الذي مرَّ حَدَّ الزُقاق
ثمَّ فـرّقتُ رُعْـبي على السـائِحـاتِ
الرقيقاتِ
في مُنحنى العاصمة.

الحمامُ الذي شَمَّلا

مرَّ قرب السبيل العتيق ولكنَّه لم يَقُل
لي: هَلا
زاعقاً في سماءٍ من الطين والغيمِ
طار على سطح هذي المسـاحـاتِ من
مرمرٍ
صوتُهُ جلجلا.
قال: خذ حرقتي، لا تُشمّلْ شمالاً
فركبُهُم قَبَّلا
هكذا قلتُ: عمَّونُ داري فَلا تبتئسْ
أيّها الكرملُ
ليس غيرُ الجنوبِ الذي قال لكنَّهُ يفعلُ.

2 ـ هكذا طنشتني!!

كلبةٌ هذه السيّدةْ!!!
بعدَ عشرين عاماً رأتني أَحِنُّ إلى عَبَثٍ
بالضفائر، كانت تدنْدِلُها فوق سفح
الجبينْ.
جَـرْجَرَتْ جَـرْوَها خلفَـهـا كـان يمشي
وديعاً
يحاصرني بالعيونْ.
طَقْطَقَ الكعبُ في دَرَجِ الروحِ
تفعيلةً تتكرّرُ فوق الرخام
أحسَّ بِزَغْزَغَةٍ، ثُمَّ غارَ الرخامْ
غَرْبَلَتْ سنواتي العجاف وقالتْ: حرامْ
غرفتي – سيّدي – باردهْ
سَقْفُ روحي جليدٌ، سمائي نحاسٌ....
أقاتلُ حيطانها في سكونِ السكونْ
نَبَّـهْتَني فَـعولنْ على صـوتِ خالتِـها
فاعِلُنْ وأنا
نائمُ الروحِ في قاعِ قاعِ سُكوتي.
شَـجَرُ الصـبر يمشي، عروقُكَ زيتونةٌ
لا تلينْ.
– قلتُ: لن أنحني

بعد أن ذَهَبَ الطازجُ فيكِ مع الريحِ
طُقّي وموتي.
- هكذا طنَّشَتْني وقالتْ:
لهُ جسدي البضُّ أعطي
وأنتَ كفاكَ الحنين.!!
- كلبةٌ هذه السيّدة.!!

3- موشح سقف السيل:

كان سيْلاً دافقاً
يبصمُ في آخر هذي الصفحة البيضاءِ
توقيعاً على الماءِ
فيبقى في الرصيفْ
كان طاووساً من البهجةِ يختال
بخضراء الرفيفْ
ضِحْكَةٌ كالخَسِّ، تمشي فَعِلُنْ
طولها يمتدُّ في الصوت الرهيفْ
نخلةُ البدو، وشاحٌ ونشيدٌ رَفْرَفا
كيف أغفيتَ في مُدُنِ العوسجِ يا هذا
على نَقْر الدفوفْ
ثَمِلاً كنتَ حنيناً في الأعالي أشْرَفا
يا صبايا شارع السلّطِ
إذا الصيفُ مع الليل على عشب
الرفوفْ
في القناني، نام كالثعلبِ
فاشتاقت زرازيرُ من القلعةِ، مفتاح
الرجاءْ
ثمَّ داوى جرحَ أحباب له بالكَسْتَنا..
قد طَفَحا
العرانيسُ بهاءٌ في البهاءْ
خجلاتُ القدّ حولي، واقفاتٌ في صفوفْ
نَقَرَتْهُ وكأنَّ الصيف من نَزْلةِ بَرْدٍ لُفِحا
عَسَلُ الوادي نقياً كان منهُ الشِفا
سلّةُ الورد بكفّيْ فتنة الفجر
الشفيفْ
وعناقيدكِ كانت نَجَفَا
دَوْزَنَ العودَ وغنّى من قصيدي
نُتَفا
كلّما قلتُ له أنتَ نديمي في نبيذ
الكهوفْ
أنتَ مسحورٌ من القاع إلى
الراس... نفى
كان سيلاً دون سقفٍ،
مَدَّ كفّيه إلى ربِّ السماءْ
شَدْشَدَ النصَّ على سَرْج الكلامْ
فلماذا صار سقفاً دون سَيْلٍ
دَاسَهُ الماشون، في صدري غفى
طائرُ الفنيقِ في قاعٍ نظيف!!
أيُّها الساقي، هوائي نَشِفا
ودَهَتْني فتنةُ الركض وراء الرغيفْ.

4- منامات الليلة الماضية:

شَجَرُ البُنْدُقِ حيّاني
على درب الغيوم الراكضهْ
قَهْقَهَ الرعدُ على هام السفوح
الراجفهْ
قمتُ ناديتك فانزاح الوشاحْ
حرقةً خضراءَ في جوف البياضات
الخائفهْ
كانت الراحاتُ تصطفُّ على سطح
البحيراتِ
صفوفاً كتلويح ذُؤابات الذُرَهْ
وسقتني نجمةٌ مأسورةٌ من كاسها
الملآنِ راحْ
ثمَّ مرَّتْ غجريّاتٌ يغازلن طبولَ الريح
في الغابات، كان السحرُ في حَوْرِ
القَوامْ
شجر البُنْدق عرّش في قيعان
روحي... يا سلامْ
منزلاً من خشب الوردِ
على قرميده غنّى الحمامْ
فتذكرتُ يا غائبتي رُمّانةً مزروعةً في
بابِ شامْ
يا صهيلاً غامقاً كالأرجوانْ
وحدُه النخلُ بعيداً كان في بادية
الروح
صليباً من رخامْ.
قلت يا غائبتي، هذا الربيعْ
كقطارٍ مرّ وأبقاني على جمر
الصقيعْ
سامحيني إنْ تعجّلتُ الرؤى
المحترقة
شجر البُندق غنّاني مقام الرَصْدِ
حتى كدتُ أن أصرخَ عيسى قامَ...
قامْ
لوّحتْ لي فرقةٌ من غجر الغابات
قالت لي: تعالْ:
العذارى المائساتُ القُدودْ
غائباتٌ كحضورٍ، حاضراتٌ
كالوعودْ
رُحْنَ في هَزْهَزةِ العود يُغنين
الرضيعْ
وغَزَتْني بَحّةُ التفّاح في أبواب
ساحاتِ السماحْ
رقصَ الفجر مع الصبح الربيعيِّ
على جمر النبيذْ
وشوينا طائر الوقت على المرمرِ
فاسترخى على غصنٍ رطيبٍ
عندليبٌ من حليبِ الفجرِ، معسولَ
الكلامْ

نَفَرتْ كالجانِ
وازدانتِ الساحةُ بالقتلى المقيمين مع الصمت الوليدْ
طار قلبي مثل دوريٍّ وحيدْ
يا غـزالي كـيف ولّعتَ قلوباً من جليد!!
ثُمَّ سَخْسَخْتُ من السحرِ وغطّتني غيومٌ
من تباريح الليالي المُقْبِلَهْ
وتَدَحْدَلَتْ على العشب فغطّاني وشاحٌ من وَلَهْ.

***

فجأةً، أيقظني طفلٌ عنيدْ
في صباح من ضبابِ الهلْوسَهْ
عِمْ صباحاً
إنني أركبُ باصَ المدرسةْ.

5 - تعلم حكمة النسيان:

تَمَهَّلْ، باصُ جامعة يمرُّ فتزهر الدفلى
على شطآنِ روحكَ في مساكننا الربيعيَّهْ
تمهّلْ باصُ جامعةٍ يمرُّ على سطوح الروحِ
يبعث في حنايانا شقائقَ من دم النعمانْ
أراكَ تُقزقزُ الرمّان في تلٍّ من الرمّانْ
لقد مرَّ الزمانُ مُقَدّداً برقاده الشتويِّ، هذا الشيخُ
من ثلجٍ وسيفي لم يزل يا فتنةَ القيعانْ
يُعالقُ من جواري الرومِ جيشاً من تواشيحي
وقافلةً مِنَ العسل الطبيعيِّ الذي وزَّعَهُ
نحلي على الكُثْبانْ
وأزعمُ ربّما أكثر.
تمهّل باصُ جامعة يمرُّ فَيجرحُ الوديْانْ
أراكَ تُمصمصُ الأشياء فاتركْ
للحساسين التي تشقى لكي تصطاد أغنيةً من البابونج الأصفر
بقايا من دم الكرم البعيد النارِ في دير من المَرْمَرْ
كأنّ نوافذَ الأبراجِ قد بُنيتْ من الصوّانْ
لجامعة على سفح من الزعترْ.
تمهَّلْ أيُّها المفتُونُ قلبُكَ في هوى الإيقاعِ...
هذا الهَزَجُ العالي
وهذا الدَرَجُ العالي
وهذا صدركِ الغالي
وهذا نَوْحُ موّالي
وهذا الدرسُ للرُهْبانْ.
تمهّل باصُ جامعةٍ من اللوز الذي في ثغرِك الأزهرْ
يحرّكُ في شغاف القلب غَيْمَ ربيعكِ الأشْقرْ
تمهّلْ باصُ جامعةٍ
من القرميدِ
يمشي كالرَشا
في غابةٍ من طولكِ البدويِّ
يمشي كالصنوبرِ
غامضاً كعيونك السمراء في المَهْجَرْ.
فماذا يفعلُ الشيخُ الذي يغلي ومن طقطقة يسكَرْ
إذا ما كان قلبُ الشيخِ بين جوانحي أزعَرْ
وكان عليَّ دوماً أن أغُضَّ الطرْفَ، ألْقي بالمواعِظِ
في سماكِ، أكزكزُ الأسنانْ
أعضُّ سِوالفي، أُخفي
صباحاً، نبضَ دقّاتي
لكي يا فتنتي السمراء، لا تَظْهرْ.
تمهّلْ باصُ جامعة يمرُّ يعذّبُ الركبانْ
راكِ فحركَ العينين نحو ضفيرةٍ كانت سنابلُها
مع النَسْماتِ ترقصُ مثل رقْصِ الجانْ
واوماً غامزاً للخلْف حتى كاد يَدّهْوَرْ.
تمهّلْ باصُ جامعةٍ من الإيقاع، هذا الهَزَجُ الفتّانْ
تمهّلْ إنْ تركتَ الروحَ هائمةً فقد تُؤْسَرْ
تَعلَّم أيّها الشيخُ الربيعيُّ الذي قَدَّ الحديدَ...
بأنّ فِتنتهُنَّ قد تَقْهَرْ
تعلّمْ حكمة النسيان يا هذا
تعلّمْ حكمةَ النسيانْ.

جامعة فيلادلفيا - عمّان